

فصل

في قدوم وفد نجيب

وقدم عليه ﷺ وفد نجيب، وهم من السَّكُون ثلاثة عشر رجلاً، قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فَسَّرَ رسول الله ﷺ بهم، وأكرم منزلهم، وقالوا: يا رسول الله، سقنا إليك حق الله في أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «رُدُّوها، فاقسموها على فقرائكم»، قالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما وفد من العرب بمثل ما وفد به هذا الحى من نجيب، فقال رسول الله ﷺ: «إن الهدى بيد الله عز وجل، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان»، وسألوا رسول الله ﷺ أشياء، فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه^(١) عن القرآن والسنن، فازداد رسول الله ﷺ بهم رغبة، وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أياماً، ولم يطيلوا اللبث^(٢).

ف قيل لهم: ما يعجلكم؟ فقالوا: نرجع إلى من وراءنا، فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ، وكلامنا^(٣) إياه وما رد علينا، ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يودعونه، فأرسل إليهم بلالا، فأجازهم بأرفع ما كان يميز^(٤) به الوفود، قال: «هل بقى منكم أحد؟» قالوا: غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سناً، قال: «أرسلوه إلينا».

فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقض حاجتك منه، فإننا قد قضينا حوائجنا منه، وودعناه، فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ

(١) في خ: «يسألون»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) في خ: «ولم يطيلوا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٣) في خ: «فكلامنا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٤) في خ: «ما كان المير»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

فقال : يا رسول الله، إنى امرؤ من بنى أُبْدَى، يقول : من الرهط الذين أتوك آنفاً، ففضيت حوائجهم، فاقض حاجتى يا رسول الله، قال : «وما حاجتك؟» قال : إن حاجتى ليست كحاجة أصحابى، وإن كانوا قدموا راغبين فى الإسلام، وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، وإنى والله ما أَعْمَلْنِى^(١) من بلادى إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لى، ويرحمنى، وأن يجعل غناى فى قلبى، فقال رسول الله ﷺ وأقبل إلى الغلام: «اللهم اغفر له، وارحمه، واجعل غناه فى قلبه»، ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم .

ثم وافوا رسول الله ﷺ فى الموسم بمنى سنة عشر، فقالوا : نحن بنو أُبْدَى^(٢)، فقال رسول الله ﷺ : «ما فعل الغلام الذى أتانى معكم؟» قالوا : يا رسول الله، ما رأينا مثله قط، ولا حُدِّثْنَا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا^(٣) الدنيا ما نظر نحوها، ولا التفت إليها، فقال رسول الله ﷺ : «الحمد لله، إنى لأرجو أن يموت جميعاً»، فقال رجل منهم : أو ليس يموت الرجل جميعاً يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ : «تَشَعَّبَ أهواؤه، وهمومه فى أودية الدنيا، فلعل أجَلَه أن يدركه فى بعض تلك الأودية، فلا يبالى الله عز وجل فى أيها هَلَكَ»، قالوا : فعاش ذلك الغلام فينا على أفضل حال، وأزهد فى الدنيا، وأقنع بما رزق .

فلما توفى رسول الله ﷺ ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام فى قومه، فذكرهم الله والإسلام، فلم يرجع منهم أحد، وجعل أبو بكر الصديق يذكره ويسأل عنه، حتى بلغه حاله، وما قام به، فكتب إلى زياد بن لبيد يوصيه به خيراً^(٤) .

(١) فى خ : «أعلمنى»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٢) فى هـ : «بذى»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٣) فى خ : «انقسموا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٤٤، ٢٤٥) .

فصل

في قدوم وفد بنى سعد^(١) هُذَيْم من قُضَاعَة

قال الواقدي : عن أبي النعمان، عن أبيه من بنى سعد هذيم : قدمت على رسول الله ﷺ وافدا في نفر من قومي، وقد أوطأ رسول الله ﷺ البلاد غلبة، وأداخ العرب، والناس صنفان : إما داخل في الإسلام راغب فيه، وإما خائف من السيف، فنزلنا ناحية من المدينة، ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا إلى بابه، فوجد رسول الله ﷺ يصلي على جنازة في المسجد فقمنا ناحية، ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى تلقى رسول الله ﷺ، ونبايعه .

ثم انصرف رسول الله ﷺ، فنظر إلينا، فدعا بنا، فقال : «من أنتم؟» فقلنا : من بنى سعد هذيم، فقال : «أمسلمون أنتم؟» قلنا^(٢) : نعم، قال : «فهلا صليتم على أخيكم؟» قلنا : يا رسول الله، ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك، فقال رسول الله ﷺ : «أينما أسلمتم، فأنتم مسلمون»، قال : فأسلمنا، وبايعنا رسول الله ﷺ على الإسلام .

ثم انصرفنا إلى رحالنا قد خلفنا عليها أصغرنا، فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا، فأتى بنا إليه، فتقدم صاحبنا إليه، فبايعه على الإسلام، فقلنا : يا رسول الله، إنه أصغرنا، وإنه خادمنا، فقال : «أصغر القوم خادمهم، بارك الله عليه»، قال : فكان والله خيرنا، وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله ﷺ له، ثم أمَرَ رسول الله ﷺ علينا، فكان يؤمنا، ولما أردنا الانصراف أمر بلالا، فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا، فرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله الإسلام^(٣) .

(١) في هـ : «شعر»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٢) في خ : «قالوا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٤٩) .

فصل

في قدوم وفد بني فزارة

قال أبو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفاء: ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا، فيهم خارجة بن حصن، والحُرُّ^(١) بن قيس ابن أخي عيينة بن حصن، وهو أصغرهم، فنزلوا في دار [رملة]^(٢) بنت الحارث، وجاؤوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وهم مُسْتَبْتُونَ على ركاب عَجَاف^(٣)، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فقال أحدهم: يا رسول الله، أَسْتَتُّ بلادنا، وهلك مواشينا، وأجذب جنابنا، وَغَرَّتْ^(٤) عيالنا، فادع لنا ربك يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك إليك.

فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! وَيْلَكَ، هذا إنما شَفَعْتُ إلى ربي عز وجل، فمن الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو العظيم، وسع كرسیه السموات والأرض، فهي تَبْطُّ من عظمتة وجلاله كما يَبْطُّ الرَّحْلُ^(٥) الجديد»، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليضحك من شَعْفِكُمْ، وأزلكم، وقُرب غِيَاثكم»، فقال الأعرابي: يا رسول الله، ويضحك ربنا عز وجل؟ قال: «نعم»، فقال الأعرابي: لن نَعْدَم من ربِّ يَضْحَك خيرا.

فضحك النبي ﷺ من قوله، وصعد المنبر، فتكلم بكلمات وكان لا يرفع يديه في

(١) في ق، هـ: «الحسن»، وما أثبتناه من خ، ك.

(٢) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

(٣) مُسْتَبْتُونَ: أي مُجْدِبُونَ، أصابهم القَحْطُ والجَدْب. وعِجَاف أي: هزال ضعيف.

(٤) غَرَّتْ: أي جاع.

(٥) في هـ: «الرجل»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

شئ من الدعاء إلا رفع الاستسقاء، فرفع يديه حتى روى بياض إبطيه، وكان مما حفظ من دعائه: «اللهم اسقِ بلادك، وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحيِ بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً مريئاً^(١) مريعاً طَبَقاً واسعاً، عاجلاً غير آجل، نافعا غير ضار، اللهم سقياً رحمة لا سقياً عذاب، ولا هَدم، ولا غرق، ولا تحق، اللهم اسقنا الغيث، وانصرنا على الأعداء»^(٢).

(١) إلى خ: «سريحا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) لحاكم في المستدرک (١ / ٣٢٧)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الكبرى في الاستسقاء (٣ / ٣٥٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٢٦، ٢٢٧). والمرّيع: المُخَصَّب الناجع. وطَبَقاً: أى مائلاً للأرض مُغَطِّياً لها.

فصل

في قدوم وفد بنى أسد

وقدم عليه ﷺ وفد بنى أسد عشرة رهط، فيهم وابصة بن معبد، وطلحة بن خوَيْلِد، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد مع أصحابه، فتكلموا، وتكلموا، فقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له، وأنت عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله، ولم تبعث إلينا بعثا ونحن لمن وراءنا.

قال محمد بن كعب القرظي: فأنزل الله على رسوله: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧) [الحجرات].

وكان مما سألوا رسول الله ﷺ عنه يومئذ العِيفَة، والكهانة وضرب الحصى، فنهاهم عن ذلك كله، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه أمور كنا نفعلها في الجاهلية، أَرَأَيْتَ خصلة بقيت؟ قال: «وما هي؟» قالوا^(١): الخطُّ، قال: «عَلِمَهُ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَمَنْ صَادَفَ مِثْلَ عِلْمِهِ عَلِمَ»^(٢).

(١) في هـ: «قال»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٢٣)، وانظر: سبل الهدى والرشاد (٦/ ٤٠٤).

قلت: لا يفهم من قول النبي ﷺ إباحت ذلك؛ لأن جواز ذلك إنما يتم إذا عُلِمَ أن هذا موافق لعلم النبي، ولا سبيل إلى معرفة ذلك، ولذلك عدّ العلماء ذلك هذا الصنيع من الحرام المنهى عنه.

فصل

في قدوم وفد بهراء

ذكر الواقدي، عن كريمة بنت المقداد قالت : سمعت أُمى ضُبَاعَةَ بنت الزبير ابن عبد المطلب تقول : قدم وفد بهراء من اليمن على رسول الله ﷺ، وهم ثلاثة عشر رجلاً، فأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهوا إلى باب المقداد، ونحن في منازلنا بينى حَدَيْلَةَ، فخرج إليهم المقداد، فرحب بهم، فأنزلهم، وجاءهم بِجَفْنَةٍ من خَيْسٍ قد كنا هيأناها قبل أن يحلوا لنجلس عليها، فحملها المقداد، وكان كريماً على الطعام، فأكلوا منها حتى نهلوا، ورُدَّتْ إلينا القصعة وفيها أكل، فجمعنا تلك الأكل في قصعة صغيرة، ثم بعثنا بها إلى رسول الله ﷺ مع سِدْرَةِ مولاتي، فوجدته في بيت أم سلمة، فقال رسول الله ﷺ : «ضُبَاعَةُ أُرْسِلَتْ بهذا؟» قالت سدره : نعم يا رسول الله، قال : «ضعي»، ثم قال : «ما فَعَلَ ضَيْفُ أَبِي مَعْبُدٍ؟» قلت : عندنا . فأصاب منها رسول الله ﷺ أَكْلاً هو ومن معه في البيت، حتى نهلوا، وأكلت معهم سدره، ثم قال : «أذهبى بما بقى إلى ضيفكم» .

قالت سدره : فرجعت بما بقى في القصعة إلى مولاتي، قالت : فأكل منها الضيف ما أقاموا نرددها عليهم، وما تَغِيضُ^(١)، حتى جعل القوم يقولون : يا أبا معبد، إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا ما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين، وقد ذكر لنا أن ببلادكم الطعام إنما هو الْعُلْقَةُ^(٢) أو نحوه، ونحن عندك في الشبع!

فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ، أنه أكل منها أكلاً وردّها، فهذه بركة

(١) تَغِيضُ : أى تنقص .

(٢) فى هـ : «العلق»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

أصابع رسول الله ﷺ، فجعل القوم يقولون : نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقيناً، وذلك الذى أراد رسول الله ﷺ، فتعلموا الفرائض، وأقاموا أياماً، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يودعونه، وأمر لهم بجوائزهم، وانصرفوا إلى أهلهم^(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٥٠).

فصل

في قدوم وفد عُذرة

وقدم على رسول الله ﷺ وفد عذرة في صفر سنة تسع، اثنا عشر رجلا، فيهم
 جمرة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: «مَنِ الْقَوْمُ؟» فقال متكلمهم: من لا تنكره،
 نحن بنو عذرة، إخوة قصي لأمه، نحن الذين عضدوا قُصَيًّا، وأزاحوا من بطن مكة
 خُزاعة، وبنى بكر، ولنا قرابات، وأرحام، قال رسول الله ﷺ: «مرحبا بكم وأهلا،
 ما أعرفنى بكم»، فأسلموا، وبشرهم رسول الله ﷺ بفتح الشام، وهرب هرقل إلى
 ممتنع من بلاده، ونهاهم رسول الله ﷺ عن سؤال الكاهنة، وعن الذبائح التي كانوا
 يذبحونها، وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية، فأقاموا أياما بدار رَمْلَة، ثم
 انصرفوا، وقد أُجيزوا^(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٥٠).

فصل

في قدوم وفد بلّ

وقدم عليه وفد بلّ في ربيع الأول من سنة تسع، فأنزلهم رُوَيْفِعُ بْنُ ثَابِتِ الْبَلَوِيِّ عنده، وقدم بهم على رسول الله ﷺ، وقال: هؤلاء قومي، فقال له رسول الله ﷺ: «مرحبا بك وبقومك»، فأسلموا، وقال لهم رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام، فهو في النار».

وقال له أَبُو الضُّبَيْبِ شَيْخُ الْوَفْدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لِي^(١) رَغْبَةٌ فِي الضِّيَافَةِ، فَهَلْ لِي فِي ذَلِكَ أَجْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَكُلَّ مَعْرُوفٍ صَنَعْتَهُ إِلَى غَنًى أَوْ فَقِيرٍ، فَهُوَ صَدَقَةٌ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَقْتُ الضِّيَافَةِ؟ قَالَ: «ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَصَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِلْضَيْفِ أَنْ يَقِيمَ عِنْدَكَ، فَيُخْرِجَكَ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ الضَّالَّةَ مِنَ الْغَنَمِ أَجَدَهَا فِي الْفَلَاةِ مِنَ الْأَرْضِ؟ قَالَ: «[هِيَ]^(٢) لَكَ، أَوْ لِأَخِيكَ، أَوْ لِلذُّبِّ» قَالَ: فَالْبَعِيرُ؟ قَالَ: «مَا لَكَ وَلَهُ، دَعَهُ حَتَّى يَجِدَهُ صَاحِبُهُ».

قَالَ رُوَيْفِعُ: ثُمَّ قَامُوا، فَرَجَعُوا إِلَى مَنْزَلِي، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي مَنْزَلِي يَحْمِلُ تَمْرًا، فَقَالَ: «اسْتَغْنِ بِهَذَا التَّمْرَ»، وَكَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَمِنْ غَيْرِهِ، فَأَقَامُوا ثَلَاثَةَ، ثُمَّ وَدَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَجَازَهُمْ، وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ^(٣).

فصل

وفي هذه القصة من الفقه: أن للضيف حقا على من نزل به، وهو ثلاث مراتب:

(١) في خ: «في»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) من الطبقات.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٤٩).

حق واجب، وتام مستحب، وصدقة من الصدقات، فالحق الواجب يوم وليلة .

وقد ذكر النبي ﷺ المراتب الثلاثة في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي شريح الخزاعي، أن رسول الله ﷺ قال : «من كان يؤمن بالله، واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته»، قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : «يومه، وليلته، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك، فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يُجرحه»^(١).

وفيه : جواز التقاط الغنم، وأن الشاة إذا لم يأت صاحبها فهي ملك الملتقط، واستدل بهذا بعض أصحابنا على أن الشاة، ونحوها مما يجوز التقاطه، يخير الملتقط بين أكله في الحال وعليه قيمته، وبين بيعه وحفظ ثمنه، وبين تركه والإنفاق عليه من ماله، وهل يرجع به ؟ على وجهين؛ لأنه ﷺ جعلها له إلا أن يظهر صاحبها، وإذا كانت له خيّر بين هذه الثلاثة، فإذا ظهر صاحبها دفعها إليه، أو قيمتها .

وأما متقدمو أصحاب أحمد، فعلى خلاف هذا . قال أبو الحسين : لا يتصرف فيها قبل الحول رواية واحدة، قال : وإن قلنا : يأخذ ما لا يستقل بنفسه كالغنم، فإنه لا يتصرف فيها بأكل، ولا غيره رواية واحدة، وكذلك قال ابن عقيل، ونص أحمد في رواية أبي طالب في الشاة : يُعرفها سنة، فإن جاء صاحبها ردها إليه، وكذلك قال الشريف : ألا يملك الشاة قبل الحول، رواية واحدة، فقال أبو بكر : وضالة الغنم إذا أخذها يعرفها سنة، وهو الواجب، فإذا مضت السنة، ولم يعرف صاحبها كانت له .

والأول أفقه، وأقرب إلى مصلحة الملتقط، والمالك؛ إذ قد يكون تعريفها سنة مستلزماً لتغريم مالِكها أضعاف قيمتها إن قلنا : يرجع عليه بنفقتها، وإن قلنا : لا يرجع استلزم تغريم الملتقط ذلك وإن قيل : يدعها ولا يلتقطها كانت للذئب

(١) البخارى في الأدب (٦٠١٩)، ومسلم في الإيمان (٤٨ / ٧٧). وقوله : «يثوي عنده» : أى يُقيم عنده .

وتلفت، والشارع لا يأمر بضيايع المال .

فإن قيل : فهذا الذي رجحتموه مخالف لنصوص أحمد، وأقوال أصحابه، وللدليل أيضا .

أما مخالفة نصوص أحمد، فمما تقدم حكايته في رواية أبي طالب، ونص أيضا في روايته في مضطر وجد شاة مذبوحة وشاة ميتة، قال : يأكل من الميتة، ولا يأكل من المذبوحة، الميتة أحلت، والمذبوحة لها صاحب قد ذبحها يريد أن يعرفها، ويطلب صاحبها، فإذا أوجب إبقاء المذبوحة على حالها فإبقاء الشاة الحية بطريق الأولى .

وأما مخالفة كلام الأصحاب، فقد تقدم .

وأما مخالفة الدليل، ففي حديث عبد الله بن عمرو : يا رسول الله، كيف ترى في ضالة الغنم؟ فقال : «هي لك، أو لأخيك، أو للذئب، احبس على أخيك ضالته» وفي لفظ : «رُدَّ على أخيك ضالته»^(١)، وهذا يمنع البيع، والذبح .

قيل : ليس في نص أحمد أكثر من التعريف، ومن يقول : إنه مخير بين أكلها وبيعها وحفظها، لا يقول بسقوط التعريف، بل يعرفها مع ذلك، وقد عرف شيتها، وعلاقتها، فإن ظهر صاحبها أعطاه القيمة، فقول أحمد : يعرفها أعم من تعريفها، وهي باقية، أو تعريفها وهي مضمونة في الذمة لمصلحة صاحبها، وملتقطها، ولا سيما إذا التقطها في السفر، فإن في إيجاب تعريفها سنة من الحرج، والمشقة ما لا يرضى به الشارع، وفي تركها من تعريضها للإضاعة والهلاك، ما ينافي أمره بأخذها، وإخباره أنه إن لم يأخذها كانت للذئب، فيتعين، ولا بد : إما بيعها وحفظ ثمنها، وإما أكلها وضمان قيمتها أو مثلها .

(١) أحمد (٢ / ١٨٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٦٨٣) : «إسناده صحيح»، وأبو داود في اللقطة (١٧١٣) .

وأما مخالفة الأصحاب، فالذى اختار التخيير من أكبر أئمة الأصحاب، ومن يقاس بشيوخ المذهب الكبار الأجلاء، وهو أبو محمد المقدسى قدس الله روحه، ولقد أحسن فى اختياره التخيير كل الإحسان .

وأما مخالفة الدليل، فأين فى الدليل الشرعى المنع من التصرف فى الشاة الملتقطة فى المفازة، وفى السفر بالبيع، والأكل، وإيجاب تعريفها، والإنفاق عليها سنة مع الرجوع بالإنفاق أو مع عدمه؟ هذا ما لا تأتى به شريعة، فضلاً أن يقوم عليه دليل، وقوله ﷺ: «احبس على أخيك ضالته»، صريح فى أن المراد به ألا يستأثر بها دونه، ويزيل حقه فيها، فإذا كان بيعها وحفظها ثمنها خيراً له من تعريفها سنة، والإنفاق عليها، وتغريم صاحبها أضعاف قيمتها، كان حبسها وردها عليه هو بالتخيير الذى يكون له فيه الحظ، والحديث يقتضيه بفحواه وقوته، وهذا ظاهر وبالله التوفيق .

ومنها: أن البعير لا يجوز التقاطه، اللهم إلا أن يكون فلّواً صغيراً، لا يمتنع من الذئب ونحوه، فحكمه حكم الشاة بتنبية النص، ودلالته .

فصل

في قدوم وفد ذى مُرَّة

وقدم على رسول الله ﷺ وفد ذى مرة، ثلاثة عشر رجلا، رأسهم الحارث بن عوف فقالوا: يا رسول الله، إنا قومك وعشيرتك، نحن قوم من بنى لؤى بن غالب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال للحارث: «أين تركت أهلِكَ؟» قال: بِسَلَّاح وما والاها، قال: «وكيف البلاد؟» قال: والله إنا مُسْتِنُونَ^(١) ما فى المال مخ، فادع الله لنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اسقهم الغيث».

فأقاموا أياما، ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم، فجاءوا رسول الله ﷺ مودعين له، فأمر بلالا أن يجيزهم، فأجازهم بعشر أواق فضة، وفضل الحارث بن عوف، أعطاه اثنتى عشرة أوقية، ورجعوا إلى بلادهم، فوجدوا البلاد مطيرة، فسألوا: متى مطرت؟ فإذا هو ذلك اليوم الذى دعا رسول الله ﷺ فيه، وأخصبت بعد ذلك بلادهم^(٢).

(١) فى هـ: «مستنون»، وما أثبتناه من خ، ق، ك، وتقدم قريبا معنى «مُسْتِنُونَ».

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٢٧).

فصل

في قدوم وفد خولان

وقدم عليه ﷺ في شهر شعبان سنة عشر وفد خولان، وهم عشرة، فقالوا: يا رسول الله، نحن على من وراءنا من قومنا، ونحن مؤمنون بالله عز وجل، ومصديقون برسوله، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وركبنا حُرُون الأرض^(١)، وسهولها، والمئة لله، ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك.

فقال رسول الله ﷺ: «أما ما ذكرتم من مَسِيركم إلى، فإن لكم بكل خَطْوَةٍ خطاها بغير أحدكم حسنة، وأما قولكم: زائرين لك، فإنه من زارني بالمدينة كان في جِوَارِي يوم القيامة» قالوا: يا رسول الله، هذا السفر الذي لا تَوَى عليه^(٢).

ثم قال رسول الله ﷺ: «ما فعل عم أنس» - وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه - قالوا: أبشر، بدلنا الله به ما جئت به، وقد بقيت منا بقايا - من شيخ كبير، وعجوز كبيرة - متمسكون^(٣) به، ولو قدمنا عليه لهدمناه إن شاء الله، فقد كنا منه في غرور، وفتنة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «وما أعظم ما رأيتم من فتنته؟» قالوا: لقد رأيتنا أَسْتَنَّا حتى أكلنا الرَّمَّة، فجمعنا ما قدرنا عليه، وابتعنا به مائة ثور، ونحرناها لعم أنس قربانا في غداة واحدة، وتركناها تردها السباع، ونحن أحوج إليها من السباع، فجاءنا الغيث من ساعتنا، ولقد رأينا العُشْبَ يوارى^(٤) الرجال، ويقول قائلنا: أنعم علينا عم أنس.

(١) حُرُونَ الأرض: أي جبالها.

(٢) لا تَوَى عليه: أي لا ضياع ولا خسارة.

(٣) في هـ: «متمسكين»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٤) في هـ: «رأينا الغيث موارى»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

وذكروا الرسول الله ﷺ ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم، وحروثهم، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جزءا له، وجزءا لله، بزعمهم، قالوا: كنا نزرع الزرع، فنجعل له وسطه، فنسميه له، ونسمى زرعاً آخر حجرة لله، فإذا مالت الريح فالذى سميناه لله جعلناه لعم أنس، وإذا مالت الريح، فالذى جعلناه لعم أنس لم نجعله لله، فذكر لهم^(١) رسول الله ﷺ أن الله أنزل عليه^(٢) في ذلك: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦] قالوا: وكنا نتحاكم^(٣) إليه، فنكَلَّمُ، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الشياطين تكلمكم».

وسألوه عن فرائض الدين، فأخبرهم وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وحسن الجوار لمن جاوروا، وألا يظلموا أحدا قال: «فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»، ثم ودعوه بعد أيام، وأجازهم، فرجعوا إلى قومهم، فلم يَحُلُّوا عقدة حتى هدموا عم أنس^(٤).

(١) في هـ: «له»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٢) في خ: «على»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٣) في خ: «نحاكم»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٤٥).

فصل

في قدوم وفد مُحارب

وقدم على رسول الله ﷺ وفد محارب عام حجة الوداع، وهم كانوا أغلظ العرب وأفظهم على رسول الله ﷺ في تلك المواسم، أيام عرضه نفسه على القبائل، يدعوهم إلى الله، فجاء رسول الله ﷺ منهم عشرة نائبين عمن وراءهم من قومهم، فأسلموا، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء، إلى أن جلسوا مع رسول الله ﷺ يوماً من الظهر إلى العصر، فعرف رجلاً منهم، فأمدّه النظر، فلما رآه المحاربى يديم النظر إليه قال: كأنك يا رسول الله توهمنى؟ قال: «لقد رأيتك»، قال المحاربى: أى والله لقد رأيتنى، وكلمتني، وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ، وأنت تطوف على الناس، فقال رسول الله ﷺ: «نعم».

ثم قال المحاربى: يا رسول الله، ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ، ولا أبعد عن الإسلام مني، فأحمد الله الذي أبقاني حتى صدقت بك، ولقد مات أولئك نفر الذين كانوا معي على دينهم، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب بيد الله عز وجل»، فقال المحاربى: يا رسول الله، استغفر لي من مراجعتي إياك، فقال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام يحب ما كان قبله من الكفر»، ثم انصرفوا إلى أهلهم^(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٢٧، ٢٢٨).

فصل

في قدوم وفد صُداء في سنة ثمان

وقدم عليه ﷺ وفد صداء، وذلك أنه لما انصرف من الجُعْرانة بعث بعوثاً، وهياً بعثاً استعمل عليه قيس بن سعد بن عباد، وعقد له لواء أبيض، ودفع إليه راية سوداء، وعسكر بناحية قنّاة في أربعمئة من المسلمين، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صُداء .

فقدم على رسول الله ﷺ رجل منهم، وعلم بالجيش، فأتى رسول الله ﷺ، فقال : يا رسول الله، جئتكَ وافداً على من ورائي، فاردد الجيش، وأنا لك بقومى، فرد رسول الله ﷺ قيس بن سعد من صدر قنّاة، وخرج الصّدائى إلى قومه، فقدم على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً منهم .

فقال سعد بن عباد : يا رسول الله، دعهم ينزلوا على، فنزلوا عليه، فحياهم، وأكرمهم وكساهم، ثم راح بهم إلى النبى ﷺ، فبايعوه على الإسلام، فقالوا : نحن لك على من وراءنا من قومنا، فرجعوا إلى قومهم، ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل في حجة الوداع .

ذكر هذا الواقدي، عن بعض بنى المُصْطَلِق، وذكر من حديث زياد بن الحارث الصّدائى أنه الذى قدم على رسول الله ﷺ، فقال له : اردد الجيش، وأنا لك بقومى فردهم، قال : وقدم، وفد قومى عليه، فقال لى : «يا أخا صداء إنك لمُطَاع فى قومك؟» قال : قلت : بلى يا رسول الله من الله عز وجل، ومن رسوله ﷺ، وكان زياد هذا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، قال : فاعتشى رسول الله ﷺ، أى : سار

ليلاً، واعتشينا معه، وكنت رجلاً قويا، قال : فجعل أصحابه يتفرقون عنه، ولزمت غُرْرَه^(١).

فلما كان في السَّحَر^(٢) قال : «أُذُنْ يا أخا صداء» فأذنت على راحلتى، ثم سرنا حتى ذهبنا، فنزل لحاجته، ثم رجع، فقال : يا أخا صداء، هل معك ماء؟ فقلت : معى شىء فى إداوتى، فقال : «هاته»، فجئت به، فقال : «صُبَّ»، فصببت ما فى الإداوة فى القَعْب^(٣)، فجعل أصحابه يتلاحقون، ثم وضع كفه على الإناء، فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عينا تفور .

ثم قال : «يا أخا صداء، لولا أنى أستحيى من ربى عز وجل لسقينا، واستقينا»، ثم توضأ وقال : «أُذُنْ فى أصحابى من كل جانب : مَنْ كانت له حاجة بالوضوء^(٤)، فَلْيَرِدْ»، قال : فوردوا من آخرهم، ثم جاء بلال يقيم، فقال : «إن أخا صداء أذن ومن أذن، فهو يُقيم»، فأقمت، ثم تقدم رسول الله ﷺ، فصلى بنا، وكنت سألتُه قَبْلُ أن يؤمرنى على قومى، ويكتب لى بذلك كتابا، ففعل .

فلما سلم من صلاته قام رجل يَتَشَكَّى من عامله^(٥) فقال : يا رسول الله، إنه أخذنا بِدُحُولٍ^(٦) كانت بيننا وبينه فى الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ : «لا خير فى الإمارة لرجل مسلم» .

ثم قام رجل فقال : يا رسول الله، أعطنى من الصدقة، فقال رسول الله ﷺ : «إن الله لم يَكِلْ قسمتها إلى ملك مُقَرَّبٍ، ولا نبي مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت

(١) لزمت غُرْرَه : أى اتبعت قوله وفعله ولم أخالفه .

(٢) فى خ : «الحر»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٣) القَعْب : القَدَح يَرَوِى الرجل .

(٤) فى خ : «الوضوء»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٥) فى خ : «من غلمة له»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٦) الدُّحُول : جمع الدُّخُل، وهو طلب المكافأة بِجَنَايةٍ جُنِيتْ على المرء من قَتْل أو جُرْح ونحو ذلك .

جزءاً منها أعطيتك، وإن كنت غنيا عنها، فإنما هي صدّاع في الرأس، وداء في البطن». .

فقلت في نفسي : هاتان خصلتان حين سألت الإمارة، وأنا رجل مسلم وسألته ^(١) من الصدقة، وأنا غني عنها، فقلت : يا رسول الله، هذان كتاباك، فاقبلهما، فقال رسول الله ﷺ : «ولم؟»، فقلت : إنني سمعتك تقول : «لا خير في الإمارة لرجل مسلم»، وأنا مسلم، وسمعتك تقول : «من سأل من الصدقة، وهو غني عنها، فإنما هي صداع في الرأس وداء في البطن»، وأنا غني، فقال رسول الله ﷺ : «أما إن الذي قلتُ كما قلتُ» فقبلهما رسول الله ﷺ، ثم قال : «دلّني على رجل من قومك أَسْتَعْمِلَه»، فدلّته على رجل منهم، فاستعمله .

قلت : يا رسول الله، إن لنا بثراً إذا كان الشتاء كفانا ماؤها، وإذا كان الصيف قلّ علينا، فتفرقنا على المياه، والإسلام اليوم فينا قليل، ونحن نخاف، فادع الله عز وجل لنا في بئرننا، فقال رسول الله ﷺ : «ناولني سبع حصيات»، فناولته، فعَرَكَهَن بيده، ثم دفعهن إلى وقال : «إذا انتهيت إليها، فألق فيها حصاة حصاة، وسَمَّ الله» قال : ففعلت، فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة ^(٢) .

فصل

في فقه هذه القصة

ففيها : استحباب عقد الألوية، والرايات ^(٣) للجيش، واستحباب كون اللواء أبيض، وجواز كون الراية سوداء من غير كراهة .

(١) في خ : «وسألته»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٤٧)، وانظر : سبل الهدى والرشاد (٦ / ٥٣٢ - ٥٣٤) .

(٣) في خ : «الرايات»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

ومنها : قبول خبر الواحد، فإن النبي ﷺ رد الجيش من أجل خبر الصدائي وحده .

وفيها : جواز سير الليل كله في السفر إلى الأذان، فإن قوله : اعتشى أى : سار عشية، ولا يقال لما بعد نصف الليل .

وفيها : جواز الأذان على الرحلة .

وفيها : طلب الإمام الماء من أحد رعيته^(١) للوضوء، وليس ذلك من السؤال .

وفيها : أنه لا يتيمم حتى يطلب الماء، فيعوزه .

وفيها : المعجزة الظاهرة بفوران الماء من بين أصابعه لما وضعها فيه، أمده الله تعالى به، وكثره حتى جعل يفور من خلال^(٢) الأصابع الكريمة، والجهال تظن أنه كان يشق الأصابع، ويخرج من نفس اللحم، والدم، وليس كذلك، وإنما بوضعه أصابعه فيه حَلَّتْ فيه البركة من الله والمدد، فجعل يفور حتى خرج من بين الأصابع، وقد جرى له هذا مرارا عديدة بمشهد أصحابه .

وفيها : أن السنة أن يتولى الإقامة من تولى الأذان، ويجوز أن يؤذن واحد، ويقيم آخر كما ثبتت في قصة عبد الله بن زيد، أنه لما رأى الأذان، وأخبر به النبي ﷺ قال : «ألقه على بلال»، فألقاه عليه، ثم أراد بلال أن يقيم، فقال عبد الله بن زيد : يا رسول الله، أنا رأيت، أريد^(٣) أن أقيم، قال : «فأقم»، فأقام هو، وأذن بلال، ذكره الإمام أحمد^(٤) .

وفيها : جواز تأمير الإمام، وتوليته لمن سألته ذلك إذا رآه كفئا^(٥)، ولا يكون

(١) في خ : «من راحلته عينه»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٢) في خ : «من بين»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٣) في خ : «أن أريد»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٤) أحمد (٤ / ٤٢)، وأبو داود في الصلاة (٥١٢)، وضعفه الألباني .

(٥) في خ : «إذا رآه كان كفئا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

سؤاله مانعا من توليته، ولا يناقض هذا قوله في الحديث ^(١) «الآخر : «إنالسن^(٢) تُؤلّى على عملنا من أراد»^(٣) ، فإن الصدائى إنما سأله أن يؤمره^(٤) على قومه خاصة، وكان مطاعا فيهم محببا إليهم، وكان مقصوده إصلاحهم، ودعاءهم إلى الإسلام، فرأى النبى ﷺ أن مصلحة قومه فى توليته، فأجابه إليها ورأى أن ذلك السائل إنما سأله الولاية لحظ نفسه، ومصلحته هو فمنعه منها، فولى للمصلحة، ومنع للمصلحة، فكان منعه لله وتوليته لله .

وفيها : جواز شكاية العمال الظلمة إلى الإمام، والقَدْح فيهم بظلمهم، وأن ترك الولاية خير للمسلم من الدخول^(٥) فيها، وأن الرجل إذا ذكر أنه من أهل الصدقة أعطى منها بقوله ما لم يظهر منه خلافه .

ومنها : أن الشخص الواحد يجوز أن يكون وحده صنفا من الأصناف؛ لقوله : «إن الله جزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت جزءا منها أعطيتك» .

ومنها : جواز إقالة الإمام لولاية من ولاه إذا سأله ذلك .

ومنها : استشارة الإمام لذى رأى من أصحابه، فيمن يوليه .

ومنها : جواز الوضوء بالماء المبارك، وأن بركته لا توجب كراهة الوضوء منه، وعلى هذا فلا يكره الوضوء من ماء زمزم، ولا من الماء الذى يجرى على ظهر الكعبة، والله أعلم .

(١) فى خ : «ولا يكون هذا مناقضاً للحديث»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) فى خ : «لا»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٣) البخارى فى الأحكام (٧١٤٩)، ومسلم فى الإمارة (١٧٣٣ / ١٤) .

(٤) فى خ : «يؤمر» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٥) فى خ : «دخوله»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٦) فى هـ : «للرجل»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

فصل

في قدوم وفد عَسَّان

وقدموا في شهر رمضان سنة عشر، وهم ثلاثة نفر، فأسلموا، وقالوا: لا ندرى أيتبعنا قومنا أم لا؟ وهم يحبون بقاء ملكهم، وقرب قيصر، فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز وانصرفوا راجعين، فقدموا على قومهم، فلم يستجيبوا لهم، فكتبوا إسلامهم حتى مات منهم رجلان على الإسلام، وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام اليرموك، فلقى أبا عبيدة، فأخبره بإسلامه، فكان يكرمه ^{(١)(٢)}.

فصل

في قدوم وفد سَلَامان

وقدم عليه ﷺ وفد سلامان، سبعة نفر، منهم حبيب بن عمرو، فأسلموا. قال حبيب: فقلت: أي رسول الله، ما أفضل الأعمال؟ قال: «الصلاة في وقتها»، ثم ذكر حديثا طويلا، وصلوا معه يومئذ الظهر، والعصر، قال: فكانت صلاة العصر أخف من القيام في الظهر، ثم شكوا إليه جَدْب بلادهم، فقال رسول الله ﷺ بيده: «اللهم اسقهم الغيث في دارهم»، فقلت: يا رسول الله، ارفع يديك فإنه أكثر، وأطيب، فتبسم رسول الله ﷺ ورفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قام، وقمنا عنه. فأقمنا ثلاثا، وضيافته تجرى علينا ثم ودعناه، وأمر لنا بجوائز، فأعطينا

(١) في خ: «يكره»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٥٥).

خمس أواق لكل رجل منا، واعتذر إلينا بلال، وقال : ليس عندنا اليوم مال، فقلنا :
 ما أكثر هذا، وأطيبه، ثم رحلنا إلى بلادنا، فوجدناها قد مطرت في اليوم الذي دعا
 فيه رسول الله ﷺ في تلك الساعة . قال الواقدي : وكان مقدمهم في شوال سنة
 عشر^(١) .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٥١) .

فصل

في قدوم وفد بني عبس

وقدم عليه وفد بني عبس، فقالوا: يا رسول الله، قدم علينا قراؤنا، فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال، ومواش وهي معاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له فلا خير في أموالنا، بعناها، وهاجرنا من آخرنا، فقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله حيث كنتم، فلن يُلْتِكُمُ الله من أعمالكم شيئاً». وسألهم رسول الله ﷺ عن خالد بن سنان هل له عقب؟ فأخبروه أنه لا عقب له كانت ابنة، فانقرضت، وأنشأ رسول الله ﷺ يحدث أصحابه عن خالد بن سنان، فقال: «نبي ضيَّعه قومُه»^(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٢٥، ٢٢٦)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٥٩٨-٥٩٩)، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١٧) للبخاري والطبراني، وقال: «وفيه قيس بن الربيع وقد وثقه شعبة والثوري، ولكن ضعفه أحمد مع ورعه، وهذا الحديث معارض للحديث الصحيح، قوله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، الأنبياء أخوة لعلات وليس بيني وبينه نبي». وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٤٠٢): «ولا يصح...»، وكذلك قال الألباني في الضعيفة (٢٨١).

فصل

في قدوم وفد غامد

قال الواقدي : وقدم على رسول الله ﷺ وفد غامد سنة عشر^(١) ، وهم عشرة ، فنزلوا ببقيع الغرقد ، وهو^(٢) يومئذ أثل ، وطرفاء^(٣) ، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ وخلفوا عند رحلهم أحدثهم سنا فنام عنه ، وأتى سارق ، فسرق عيبة لأحدهم فيها أثواب له ، وانتهى القوم إلى رسول الله ﷺ ، فسلموا عليه ، وأقروا له بالإسلام ، وكتب لهم كتابا فيه شرائع من شرائع الإسلام ، وقال لهم : « من خَلَفْتُمْ في رحالكم ؟ » فقالوا : أحدثنا يا رسول الله ، قال : « فإنه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت ، فأخذ عيبة أحدكم » ، فقال أحد القوم : يا رسول الله ، ما لأحد من القوم عيبة غيري ، فقال رسول الله ﷺ : « فقد أَخَذْتُ ورُدَّتْ إلى موضعها » .

فخرج القوم سراعا حتى أتوا رحلهم ، فوجدوا صاحبهم ، فسألوه عما أخبرهم رسول الله ﷺ ، قال : فرغت من نومي ، ففقدت العيبة ، فقمت في طلبها ، فإذا رجل قد كان قاعدا ، فلما رأيته ثار يعدو مني ، فأنتهيت إلى حيث انتهى ، فإذا أثر حفر^(٤) وإذا هو قد غيب العيبة ، فاستخرجتها ، فقالوا : نشهد أنه^(٥) رسول الله ، فإنه قد

(١) في خ : « عشرة » ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) في خ : « هم » ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٣) في خ : « طرفاء » ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ . والطرفاء : شجر ، وهي أربعة أصناف ، والأثل صنف منها .

(٤) في خ : « فإنه جعفر » ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٥) في خ : « بأنه » ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

أخبرنا بأخذها، وأنها قد ردت .

فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، وجاء الغلام الذي خلفوه، فأسلم، وأمر النبي ﷺ أبي بن كعب، فعلمهم قرآنا وأجازهم [النبي] ^(١) كما كان يميز الوفود، وانصرفوا ^(٢) . انتهى .

(١) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٦٠) .

فصل

في قدوم وفد الأزدي على رسول الله ﷺ

ذكر أبو نعيم في كتاب «معركة الصحابة»، والحافظ أبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان^(١) الداراني، قال : حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال : حدثني أبي، عن جدي سويد بن الحارث، قال : وفدت سبع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ، فلما دخلنا عليه، وكلمناه أعجبه ما رأى^(٢) من سمئنا، وزينا، فقال : «ما أنتم؟» قلنا : مؤمنون، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : «إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟» .

قلنا : خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً .

فقال رسول الله ﷺ : «وما الخمس التي أمرتكم بها رسل، أن تؤمنوا بها؟» .

قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت .

قال : «وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟» .

قلنا : أمرتنا أن نقول : لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

فقال : «وما الخمس التي تخلقتم^(٣) بها في الجاهلية؟» .

(١) في خ : «سليمان» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) في هـ : «رآه» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

(٣) في خ : «تخلتيم» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

قالوا^(١): الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشبهة بالأعداء.

فقال رسول الله ﷺ: «حُكِّمَاءُ عَلِمَاءُ، كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءُ»، ثم قال: «وَأَنَا أَزِيدُكُمْ خَمْسًا، فَتَمَّ لَكُمْ عَشْرُونَ خَصْلَةً، إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ، فَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَلَا تَنَافِسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَدَا تَزُولُونَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ، وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ، وَارْغَبُوا فِيهَا عَلَيْهِ تَقْدَمُونَ، وَفِيهِ تَخْلُدُونَ»، فَانصَرَفَ الْقَوْمُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَفِظُوا وَصِيَّتَهُ وَعَمَلُوا بِهَا^(٢).

(١) في خ: «قلنا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٥٤، ٢٥٥)، وأورده الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢/ ٩٨)، وعزاه لأبي أحمد العسكري، والحديث سنده ضعيف؛ لضعف علقمة بن يزيد بن سويد.

فصل

في قدوم وفد بنى المنتفق على رسول الله ﷺ

روينا عن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في مسند أبيه قال : كتب إلى إبراهيم ابن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى : كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَقَدْ عَرْضْتَهُ وَسَمِعْتَهُ عَلَى مَا كَتَبْتُ بِهِ ^(١) إِلَيْكَ ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ عَنِّي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْحَزَامِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عِيَّاشٍ الْأَنْصَارِيُّ ، عَنْ دَهْمِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَاجِبٍ بْنِ عَامِرِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ الْعَقِيلِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَمِّهِ لَقِيْطِ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ دَهْمٌ : وَحَدَّثَنِي أَيْضًا أَبُو ^(٢) الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ ^(٣) عَاصِمِ بْنِ لَقِيْطٍ ، أَنَّ لَقِيْطَ بْنَ عَامِرٍ ^(٤) خَرَجَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ : نَهْيُكُ بْنُ عَاصِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ .

قال لقيط : خرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ ، فوافيناه حين انصرف من صلاة ^(٥) الغداة ، فقام في الناس خطيبا فقال : «يأيها الناس ، ألا إنني قد خبأت لكم صَوْتِي منذ أربعة أيام ، ألا لتسمعوا اليوم ، ألا فهل من امرئ بعثه قومه ؟» ، فقالوا : اعلم لنا ما يقول ^(٦) رسول الله ﷺ «أَلَا تَمَّ رَجُلٌ لَعَلَهُ يَلْهِيهِ حَدِيثُ نَفْسِهِ ، أَوْ حَدِيثُ صَاحِبِهِ ، أَوْ يَلْهِيهِ ضَالٌّ ، أَلَا إِنِّي مُسْئِلٌ ، هَلْ بَلَغْتُ ، أَلَا اسْمَعُوا تَعِيشُوا ، أَلَا اجْلِسُوا ^(٧)» فجلس الناس .

(١) في خ : «كتبته له» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) في ق ، هـ : «أبي» ، وما أثبتناه من خ ، ك .

(٣) في خ : «ابن» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٤) في هـ : «عاصم» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

(٥) في خ : «من غداة من صلاة» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٦) في خ : «يقوم» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٧) في خ : «اجلسوا» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده، ونظره، فقلت : يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟ فضحك، لعمر الله، وعلم أنى أبتغى السَّقْطَةَ، فقال : «صَنَّ رِبِكَ بِمَفَاتِيحِ خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ»، وأشار بيده، فقلت : وما هُنَّ يا رسول الله؟ قال : «عِلْمُ الْمَنِيَّةِ، قد علم متى مَنِيَّةٌ أَحَدُكُمْ، وَلَا تَعْلَمُونَهُ، وَعِلْمُ الْمَنِيِّ حَتَّى يَكُونَ فِي الرَّحِمِ، قد علمه، وَلَا تَعْلَمُونَهُ، وَعِلْمُ مَا فِي غَدٍ، قد علم ما أَنْتَ طَاعِمٌ، وَلَا تَعْلَمُهُ، وَعِلْمُ^(١) يَوْمِ الْغَيْثِ، يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ أَرْلَيْنِ مُشْفِقَيْنِ فَيُظِلُّ بِضَحْكَ، قد علم أَنْ عَوْنَكُمْ إِلَى قَرِيبٍ» قال لقيط : فقلت له : لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ^(٢) يَضْحَكُ خَيْرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال : «وَعِلْمُ يَوْمِ السَّاعَةِ».

قلت^(٤) : يا رسول الله، عَلَّمْنَا مِمَّا تُعَلِّمُ النَّاسَ وَتَعْلَمُ، فَإِنَّا مِنْ قَبِيلٍ لَا يُصَدِّقُونَ تَصَدِيقَنَا أَحَدًا مِنْ مِذْحَجِ الْتَى تَرْبُو^(٥) عَلَيْنَا، وَخُتِّعَ الْتَى تَوَالِينَا، وَعَشِيرَتُنَا [الَّتَى نَحْنُ مِنْهَا، قَالَ : «تَلْبِثُونَ مَا لَبِثْتُمْ، ثُمَّ يَتَوَفَّى نَبِيِّكُمْ»]^(٦)، ثُمَّ تَلْبِثُونَ مَا لَبِثْتُمْ، ثُمَّ تَبْعَثُ الصَّائِحَةُ، فَلَعَمْرُ إِلْهَكُ، مَا تَدْعُ عَلَى ظَهَرِهَا شَيْئًا إِلَّا مَاتَ، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَصْبَحَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَطُوفُ فِي الْأَرْضِ [وَحْدَهُ، وَقَدْ]^(٧) خَلَّتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ، فَأَرْسَلَ رَبُّكَ السَّمَاءَ تَهْضُبُ مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ، فَلَعَمْرُ إِلْهَكُ، مَا تَدْعُ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ مَضْرَعٍ قَتِيلٍ وَلَا مَدْفَنٍ مَيِّتٍ، إِلَّا شَقَّتْ الْقَبْرَ عَنْهُ حَتَّى تَخْلُفَهُ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ، فَيَسْتَوِي جَالِسًا، فيقول ربك : مهيم لما كان فيه، يقول : يا رب أَمْسِ الْيَوْمَ^(٨) لِعَهْدِهِ بِالْحَيَاةِ يَحْسِبُهُ حَدِيثًا^(٩) بِأَهْلِهِ».

(١) في : «يعلم».

(٢) في خ : «ما»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٣) في خ : «تب»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٤) في خ : «قلنا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٥) في خ : «يدعو»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٦) (٧٠٦) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ.

(٨) في خ : «إليهم»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٩) في خ : «حديث»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

قلت : يا رسول الله، فكيف يجمعنا بعد ما تُمَزِّقنا الرياح، والِبَلَى والسباع؟ قال : «أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله : الأرض أُشْرِفَتْ عليها، وهى [فى] ^(١) مَدْرَة بالية» فقلت : لا تحبى أبدا «ثم أرسل الله - تعالى - عليها السماء، فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أُشْرِفَتْ عليها، وهى شربة واحدة، ولعمر إلهك، هو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأضواء، ومن مصارعكم، فتنظرون إليه، وينظر إليكم» .

قال : قلت : يا رسول الله، كيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد ينظر إلينا، وننظر إليه؟ قال : «أنبئك بمثل هذا في آلاء الله : الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها ^(٢) ويريانكم ساعة واحدة، ولا تُضَارُونَ ^(٣) فى رؤيتهما» [ولعمر إلهك، هو أقدر على أن يراكم، وترونه من أن تروا نورهما، ويريانكم لا تضارون ^(٤) فى رؤيتهما] ^(٥) .

قلت : يا رسول الله، فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال : «تعرضون عليه، بادية له صَفَحَاتكم، لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء، فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك، ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الرِّيْطَةِ البيضاء، وأما الكافر فتنضح به، أو قال : فتنتطحه بمثل الحُمَمِ الأسود ^(٦) ، ألا ثم ينصرف نبيكم ويُفَرِّق على أثره الصالحون، فيسلكون جسرا من النار، يطأ أحدكم الجمرة يقول : حَسَّ، يقول ربك عز وجل، أو أنه، ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أطماء - والله - نَاهِلَة عليها قط رأيتها، فلعمر إلهك، ما يَبْسُط

(١) ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٢) فى خ : «ترونها» ، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٣) فى ق : «تضامون» ، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٤) فى خ : «تضامون» ، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٥) ليست فى ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ، هـ .

(٦) فى خ : «تنتطحه منكم منها قطرة بصير بمثل الحُمَمِ الأسود» ، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

أحد منكم يده إلا وقع عليها قَدْحٌ يُطَهِّرُهُ^(١) من الطَّوْفِ والبُولِ والأذى وتُخَسَّسُ^(٢) الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً .

قال : قلت : يا رسول الله، فبِمِ نَبصر؟ قال : «بمثل بصرِكَ ساعتِكَ هذه، وذلك قبل^(٣) طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض، وواجهت به الجبال» .

قال : قلت : يا رسول الله، فبِمِ تُجَزَى من سيئاتنا [وحسانتنا؟]^(٤)، قال ﷺ : «الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أن يعفو» .

قال : قلت : يا رسول الله، ما الجنة، وما النار؟ قال : «لعمرك إلهك^(٥)، إن النار لها سبعة أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب [بينهما]^(٦) سبعين عاماً، وإن للجنة لثمانية^(٧) أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً» .

قلت : يا رسول الله، فعلام نطلع من الجنة؟ قال : «على أنهار من عسل مُصَفَّى، وأنهار من خمر ما بها صُداغ، ولا نَدَامَةٌ، وأنهار من لبن^(٨) ما يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة، ولعمرك إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة» .

قلت : يا رسول الله، أو لنا فيها أزواج أو منهن مصلحات؟ قال : «المصلحات للصالحين» وفي لفظ : «الصالحات للصالحين تَلَذُّوهُنَّ، وَيَلَذُّوْنَكُمْ مثل لذاتكم في الدنيا، غير أن لا توالد» .

قال لقيط : فقلت : يا رسول الله، أقصى ما نحن بالغون، ومتهون إليه؟ فلم

(١) في هـ : «يطهر»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٢) في هـ : «يحبس»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٣) في ق : «مع»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٤) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٥) في خ : «لعمير فإلهه»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٦) ليست في ق، ك، وما أثبتناه من خ، هـ .

(٧) في خ : «ثمانية»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٨) في خ : «خمر»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

يحببه النبي ﷺ .

قال : قلت : يا رسول الله، علام أبايعك؟ فبسط النبي ﷺ يده، وقال : «على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وزِيَالِ الْمُشْرِكِ^(١)، وألا تشرك بالله إلها غيره» .

قال : قلت : يا رسول الله، وإن لنا ما بين المشرق والمغرب، فقبض رسول الله ﷺ يده، وظن أنى مشرط ما لا يعطينيه، قال : قلت : نحل منها حيث شئنا، ولا يجنى امرؤ إلا على نفسه، فبسط يده وقال : «لك ذلك، نَحْلُ حيث شئْتَ، ولا يَجْنِي عليك إلا نفسك» قال : فانصرفنا عنه، ثم قال : «ها إِنَّ ذَيْنَ، ها إِنَّ ذَيْنَ - مرتين - لعمر إلهك، من أتقى الناس في الأولى، والآخرة»، فقال له كعب بن الخدرية أحد بنى بكر بن كلاب : من هم يا رسول الله؟ قال : «بنو المنتفق، بنو المنتفق، بنو المنتفق، أهل ذلك منهم» .

قال : فانصرفنا، وأقبلت عليه، فقلت : يا رسول الله، هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال رجل من عُرُض قريش : والله إن أباك المنتفق لفي النار، قال : فكأنه وقع حريين جلد وجهي ولحمه، مما قال لأبى على رؤوس الناس، فهممت أن أقول : وأبوك يا رسول الله؟ ثم إذا الأخرى أجمل، فقلت : يا رسول الله، وأهلك؟ قال : «وأهلى لَعَمْرُ الله، [حيث]^(٢) ما أتيت على قبر عامري، أو قُرْشَى، من مشرك قل^(٣) : أرسلنى إليك محمد، فأبشرك بما يسوؤك، نُجْرُ^(٤) على وجهك وبطنك في النار» .

قال : قلت : يا رسول الله، وما فعل بهم ذلك، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال ﷺ : «ذلك بأن الله بعث في آخر كل

(١) في هـ : «الشرك»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٢) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٣) في هـ : «إلا»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٤) في خ : «نجرنى»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

سبع أمم نبيا، فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين»^(١).

هذا حديث كبير جليل تُنادى جلالته، وفخامته، وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة؛ لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني، رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري، وهما من كبار علماء المدينة، ثقتان محتج بهما في الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد ابن إسماعيل البخاري، رواه أئمة [أهل] السنة^(٢) في كتبهم، وتلقوه بالقبول، وقابلوه بالتسليم، والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواه.

فممن رواه: الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه وفي كتاب السنة، وقال: كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبت إليك بهذا الحديث، وقد عرضته، وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدث به عني.

ومنهم: الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل في كتاب «السنة» له^(٣).

ومنهم: الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال في كتاب المعرفة.

ومنهم: حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني في كثير من كتبه.

(١) عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٤ / ١٣، ١٤)، والطبراني في الكبير (١٩ / ٢١١) (٤٧٧)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٤١): «رواه عبد الله والطبراني بنحوه، وأحد طريقى عبد الله إسنادها متصل، ورجالها ثقات، والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل، عن عاصم بن لقيط»، وضعفه الألباني في ظلال الجنة (٦٣٦).

(٢) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

(٣) السنة لابن أبي عاصم (٦٣٦)، وقال الألباني في ظلال الجنة: «إسناده ضعيف».

ومنهم : الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان^(١) أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة .

ومنهم : الحافظ بن الحافظ بن الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة حافظ أصبهان .

ومنهم : الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه .

ومنهم : حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهاني وجماعة من الحفاظ سواهم ، يطول ذكرهم .

وقال ابن مندة : روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وغيرهما ، وقد رواه بالعراق بمجمع العلماء ، وأهل الدين جماعة من الأئمة ، منهم أبو زرعة الرازي ، وأبو حاتم ، وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، ولم ينكره أحد ، ولم يتكلم في إسناده بل روه على سبيل القبول ، والتسليم ، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد ، أو جاهل ، أو مخالف^(٢) للكتاب ، والسنة هذا كلام أبي عبد الله ابن مندة - رحمه الله تعالى .

وقوله : «تَهْضُبُ» : أى تُمَطَّر ، والأصواء : القبور ، والسَّرْبَةُ - بفتح الراء - الحوض الذى يجتمع فيه الماء ، وبالسكون : الحنظلة يريد أن الماء قد كثر ، فمن حيث شئت تشرب ، وعلى رواية السكون : يكون قد شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنظلة واستوائها .

وقوله : «حَسَّ» : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه ، أو يؤلمه ، قال الأصمعي : وهى مثل أوّه .

(١) في خ : «حيان» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) في خ : «إلا جاحداً وجاهلاً ومخالف» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

وقوله : «يقول ربك عز وجل : أو أنه» : قال ابن قتيبة : فيه قولان : أحدهما : أن يكون أنه بمعنى نعم، والآخر : أن يكون الخبر محذوفاً، كأنه قال : أنتم كذلك أو أنه على ما يقول .

والطوف الغائط، وفي الحديث : «لا يُصَلِّ أحدكم، وهو يدافع الطوف والبول .
والجسر : الصراط .

وقوله : «فيقول ربك - عز وجل - مَهْمِيمٌ» : أى : ما شأنك، وما أمرك، وفيه كنت .

وقوله : «يشرف عليكم أزلين» : الأزل - بسكون الزاى - الشدة، والأزل على وزن كتف : هو الذى قد أصابه الأزل، واشتد به حتى كاد يقنط .

وقوله : «فيظل يضحك» : هو من صفات أفعاله سبحانه التى لا يشبهه فيها شئ من مخلوقاته كصفات ذاته، وقد وردت هذه الصفة فى أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها، كما لا سبيل إلى تشبيهها، وتحريفها، وكذلك «فأصبح ربك يطوف فى الأرض» هو من صفات فعله كقوله : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر : ٢٢] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام : ١٥٨] وينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا^(١)، ويدنو عشية عرفة، فيباهى بأهل الموقف الملائكة^(٢)، والكلام فى الجميع صراط واحد مستقيم، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل .

وقوله : «والملائكة الذين عند ربك» : لا أعلم موت الملائكة جاء فى حديث صريح إلا هذا، وحديث إسماعيل بن رافع الطويل، وهو حديث الصور، وقد

(١) أحمد (٢/ ٢٦٤، ٢٦٥)، والبخارى فى التهجد (١١٤٥)، ومسلم فى صلاة المسافرين وقصرها (١٦٩/ ٧٥٨) .

(٢) مسلم فى الحج (٤٣٦/ ١٣٤٨) .

يستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقوله: «فَلَعَمْرُ إِلْهِك»: هو قسم بحياة الرب جل جلاله، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته، وانعقاد اليمين بها، وأنها قديمة، وأنه يطلق عليه منها أسماء المصادر، ويوصف بها، وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء، وأن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر دالة عليها.

وقوله: «ثم تجيء الصائحة»: هي صيحة البعث، ونفخته.

وقوله: «حتى يخلفه من عند رأسه»: هو من أخلف الزرع: إذا نبت بعد حصاده، شبه النشأة الآخرة بعد الموت بإخلاف الزرع بعدما حصد، وتلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع.

وقوله: «فيستوى جالسا»: هذا عند تمام خلقته، وكمال حياته، ثم يقوم بعد جلوسه قائما، ثم يساق إلى موقف القيامة إما راكبا، وإما ماشيا.

وقوله: «يقول: يا رب أمس اليوم»: استقلال لمدة لبثه في الأرض، وكأنه لبث فيها يوما، فقال: أمس، أو بعض يوم، فقال: اليوم يحسب أنه حديث عهد بأهله، وأنه إنما فارقه أمس أو اليوم.

وقوله: «كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح، والبلى، والسباع؟»: وإقرار رسول الله ﷺ له على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيثار، بل كانوا مشغولين بالعلميات^(١)، وأن أفراخ الصابئة، والمجوس من الجهمية، والمعتزلة، والقدرية أعرف منهم بالعلميات^(٢).

(١: ٢) في هـ: «العلميات»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

وفيه : دليل على أنه كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يثلج به صدورهم، وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداؤه : للتعنت والمغالبة، وأصحابه : للفهم والبيان، وزيادة الإيمان، وهو يجب كلا عن سؤاله، إلا ما لا جواب عنه، كسؤاله عن وقت الساعة، وفي هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعدما فرقها وينشئها نشأة أخرى، ويخلق خلقا جديدا كما سماه في كتابه كذلك في موضعين منه .

وقوله: «أنبك بمثل ذلك في آلاء الله»: الآؤه: نعمه وآياته التي تعرف بها إلى عباده.

وفيه : إثبات القياس في أدلة التوحيد، والمعاد والقرآن مملوء منه .

وفيه : أن حكم الشيء حكم نظيره، وأنه سبحانه إذا كان قادرا على شيء، فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله؟ فقد قرر الله سبحانه أدلة المعاد في كتابه أحسن تقرير، وأبينه وأبلغه، وأوصله إلى العقول والفطر، فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكذيبا له، وتعجيزا وطعنا في حكمته، تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وقوله في الأرض : «أشرفت عليها وهي مدرة بالية» : هو كقوله تعالى : ﴿وَنُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم : ١٩] وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت : ٣٩] ونظائره في القرآن كثيرة .

وقوله : «فتنظرون إليه، وينظر إليكم» : فيه إثبات صفة النظر لله عز وجل، وإثبات رؤيته في الآخرة .

وقوله : «كيف ونحن ملء الأرض، وهو شخص واحد» : قد جاء هذا في هذا الحديث، وفي قوله في حديث آخر : «لَا شَخْصَ أُغْيَرُ مِنْ اللَّهِ»^(١)، والمخاطبون بهذا

(١) البخارى في الحدود (٦٨٤٦)، ومسلم في اللعان (١٤٩٩ / ١٧) .

قوم عرب يعلمون المراد منه، ولا يقع فى قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولا، وأصح أذهانا وأسلم قلوبا من ذلك، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عيانا برؤية الشمس، والقمر تحقيقا لها، ونفيا لتوهم المجاز الذى يظنه المعطلون .

وقوله : «فياخذ ربك بيده غرفة من الماء، فينضح بها قبلكم» : فيه إثبات صفة اليد له سبحانه، وإثبات الفعل الذى هو النضح .

والرَّيْطَةُ : الملاعة .

والْحَمَمَ : جمع حُمَمَةٍ، وهى الفحمة .

وقوله : «ثم ينصرف نبيكم» : هذا انصراف من موقف القيامة إلى الجنة .

وقوله : «ويفرق على أثره الصالحون» : أى يفزعون، ويمضون على أثره .

وقوله : «فتطلعون على حوض نبيكم» : ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر، فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر، وللسلف فى ذلك قولان، حكاها القرطبى فى تذكرته والغزالي، وغَلَطًا من قال : إنه بعد الجسر .

وقد روى البخارى : عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ إِذَا زُمَرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ : هَلُمَّ، فَقُلْتُ : إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ : إِلَى النَّارِ، وَاللَّهِ، قُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ ارْتَدَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ»^(١) قال : فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم، فمن جازه سلم من النار .

قلت : وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض، ولا تناقض، ولا اختلاف،

(١) البخارى فى الرقاق (٦٥٨٧) . وَهَمَلٌ : ضَوَّالُ الْإِبِلِ، أى : أن الناجى منهم قليل فى قلة النَّعَمِ الضَّالَّةِ .

وحديثه كله يصدق بعضه بعضاً ، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ، ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط ، فحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قولهم .

وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جازوا الصراط ، وقطعوه بدا لهم الحوض ، فشرّبوا منه فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا وهو لا يناقض كونه قبل الصراط ، فإن [قوله] ^(١) : طوله شهر ، وعرضه شهر ، فإذا كان بهذا الطول ، والسعة ، فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر ، فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده ، فهذا في حيز الإمكان ، ووقوعه موقوف على خبر الصادق ، والله أعلم .

وقوله : «على أظماً - والله - ناهلة قط» : الناهلة : العطاش الواردون للماء ، أى : يردونه أظماً ما هم إليه ، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط ، فإنه جسر النار؟ وقد وردوها كلهم ، فلما قطعوه اشتد ظمؤهم إلى الماء ، فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه في موقف القيامة .

وقوله : «وتخنس ^(٢) الشمس والقمر» : أى : تختفيان ، وتحتبسان ، ولا يريان ، والانحناس : التوارى ، والاختفاء ، ومنه : قول أبي هريرة : فانخنست منه .

وقوله : «ما بين البابين مسيرة سبعين عاماً» : يحتمل أن يريد به : أن بعد ما بين الباب ، والباب هذا المقدار ، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين ، ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً ؛ لوجهين :

أحدهما : إنه لم يصرح فيه راويه ^(٣) بالرفع ، بل قال : ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاماً .

(١) ليست في خ ، ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .

(٢) في هـ : «حس» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

(٣) في خ : «رواية» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

والثاني : إن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير، فيها وبطئه، والله أعلم .

وقوله في خمر الجنة أنه : « ما بها صداع، ولا ندامة » : تعريض بخمر الدنيا، وما يلحقها من صداع الرأس، والندامة على ذهاب العقل، والمال، وحصول الشر الذي يوجبه زوال العقل .

والماء غير الآسن^(١) : هو الذي لم يتغير بطول^(٢) مكثه .

وقوله في نساء [أهل]^(٣) الجنة : « غير ألا توالد » : قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة؟ على قولين، فقالت طائفة : لا يكون فيها حمل، ولا ولادة، واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث، وبحديث آخر، أظنه في المسند، وفيه : « غير أن لا مَنِيَّ، ولا مَنِيَّةً »^(٤) .

وأثبتت طائفة من السلف الولادة في الجنة، واحتجت بما رواه الترمذی في جامعه من حديث أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد، قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله، ووضع، وسنه في ساعة كما يشتهي »، قال الترمذی : حسن غريب، ورواه ابن ماجه^(٥) .

قالت الطائفة الأولى : هذا لا يدل على وقوع الولادة في الجنة، فإنه علقه بالشرط، فقال : إذا اشتهى، ولكنه لا يشتهي، وهذا تأويل إسحاق بن راهويه، حكاه البخاري عنه، قالوا : والجنة دار جزاء على الأعمال، وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء، قالوا : والجنة دار خلود لا موت فيها، فلو توالد فيها أهلها على الدوام،

(١) في هـ : « آسن »، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٢) في خ : « طول »، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٣) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ.

(٤) الطبراني في الكبير (١١١٣/٨) (٧٤٧٩)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٤١٩، ٤٢٠) : « رواها كلها الطبراني بأسانيد، ورجال بعضها وثقوا على ضعف في بعضهم ».

(٥) الترمذی في صفة الجنة (٢٥٦٣)، وقال : « حسن غريب »، وابن ماجه في الزهد (٤٣٣٨)، وصححه الألباني .

والأبد لما وسعتهم، وإنما وسعتهم الدنيا بالموت .

وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله، وقالت : أداة إذا إنها تكون لمحقق الوقوع لا المشكوك فيه، وقد صح أن الله سبحانه ينشئ للجنة خلقا يسكنهم إياها بلا عمل منهم، قالوا : وأطفال المسلمين أيضا فيها بغير عمل [منهم]^(١)، وأما حديث سعتها : فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد، وسعتهم، فإن أدناهم من ينظر في ملكه مسيرة ألفى عام .

وقوله : «يا رسول الله، أقصى ما نحن بالغون، ومنتهون إليه» : لاجواب لهذه المسألة؛ لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا، وانتهائها، فلا يعلمه إلا الله، وإن أراد : أقصى ما نحن منتهون إليه بعد دخول الجنة، والنار، فلا تعلم نفس أقصى ما ينتهي إليه من ذلك، وإن كان الانتهاء إلى نعيم، وجحيم، ولهذا لم يجبه النبي ﷺ .

وقوله في عقد البيعة : «وزيال^(٢) المشرك» : أى : مفارقتة، ومعاداته فلا يجاوره، ولا يواليه، كما في الحديث الذى فى السنن : «لأترأى ناراهما»^(٣) يعنى المسلمين والمشركين .

وقوله : «حيثما مررت بقبر كافر، فقل : أرسلنى إليك محمد» : هذا إرسال تقريع، وتوبيخ لا تبليغ أمر، ونهى، وفيه دليل على سماع أصحاب القبور كلام الأحياء، وخطابهم لهم ودليل على أن من مات مشركا، فهو فى النار وإن مات قبل البعثة؛ لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم، واستبدلوا بها الشرك، وارتكبهوه، وليس معهم حجة من الله به، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلوما

(١) ليست فى خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٢) فى ق : «زوال»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٣) أبو داود فى الجهاد (٢٦٤٥)، والترمذى فى السير (١٦٠٤)، والنسائى فى القسامة (٤٧٨٠)، وصححه الألبانى .

من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرنا بعد قرن .

فلله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت، ولو لم يكن إلا ما فطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم لتوحيد إلهيته، وأنه يستحيل في كل فطرة، وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد في الأرض معلومة لأهلها فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل، والله أعلم .

فصل

في قدوم وفد النخع على رسول الله ﷺ

وقدم عليه وفد النخع، وهم آخر الوفود قدوما عليه في نصف المحرم سنة إحدى عشرة، في مائتي رجل، فنزلوا دار الأضياف، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ ابن جبل، فقال رجل منهم يقال له: زُرارة بن عمرو: يا رسول الله، إني رأيت في سفرى هذا عجا قال: «وما رأيت؟»، قال: رأيت أتاناً تركتها في الحى كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى، فقال له رسول الله ﷺ: «هل تركت أمة لك مُسرّة على حمل؟» قال: نعم، قال: «فإنها قد ولدت غلاماً، وهو ابنك»، قال: يا رسول الله، فما باله أسفع أحوى؟^(١) فقال: «ادن منى»، فدنا منه، فقال: «هل بك من برص تكتمه؟» قال: والذي بعثك بالحق ما علم به أحد، ولا اطلع عليه غيرك.

قال: يا رسول الله، ورأيت النعمان بن المنذر عليه قُرطان مُدْمَلجان، ومُسَكَّتان^(٢) قال: «ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته».

قال: يا رسول الله، ورأيت عجوزاً شَمْطاء قد خرجت من الأرض، قال: «تلك بقية الدنيا».

قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بينى، وبين ابن لى، يقال له: عمرو، وهى تقول: لَظَى لَظَى، بصير، وأعمى، أطعمونى أَكْلُكُمْ أَهْلَكُمْ، وَمَالَكُمْ،

(١) في النهاية لابن الأثير: «أسفع أحوى»: أى أسود ليس بشديد السواد.

(٢) المُدْمَلَج: المُدْرَج الأملس، والدْمَلَجَة: تسوية صنعة الشيء. والمُسَكَّة: السَّوار من الذبل، وهى قرون الأوعال. وقيل: جلود دابة بحرية.

قال رسول الله ﷺ: «تلك فتنة تكون في آخر الزمان»، قال: يا رسول الله، وما الفتنة؟ قال: «يَقْتُلُ الناس إمامهم، ويشجعون اشتجار أطباق الرأس» وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه - بحسب المسمى فيها أنه محسن - «ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مِتَّ أنت أدركها ابنك»، قال: يا رسول الله، ادع الله ألا أدركها، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا يدركها»، فمات وبقى ابنه، وكان ممن خلع عثمان رضي الله عنه ^(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٦٠، ٢٦١).